الفصل الثالث عشر بعد المئة

حاصلات طبيعية

الصبغ :

والصبغ ما يلوّن به . وقد استخرج أهل الجاهلية الأصباغ من بعض النبات، لاستعمالها في الصناعة أو في البناء وفي صبغ الانسجة. واشتهرت مواضع من جزيرة العرب بحذقها في الصباغة ، وباتقانها استخراج الصبغ من النبات وبعض المعادن . وقد كانت سلعة مطلوبة رائجة ، لأنها جيدة ثابتة لا تتغير بسرعة .

وقد عصفر الجاهليون ثيابهم بالعصفر . وهو نبات ينبت بأرض العرب ، سلافته الجريال ، صبغ أحمر[1] وبزره (القرطم) ، الذي يصبغ به منه[2] . وصبغوا بـ (الفرصاد) ، وهو صبغ أحمر[3] ؛ وبـ (الفوّة) ، عروق يصبغ بها . وقيل : هي عروق حمر دقاق لها نبت يسمو في رأسه حبّ أحمر شديد الحمرة كثير الماء يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالاً مظاهرة كما تجرّ ثياب الفوة العرس

واستعملت (الفوة) دواءً لمعالجة الجلد[4] .

---

١ تاج العروس (٧/٢٥٥) ، (جَرِل) .
٢ تاج العروس (٣/٤٠٨) ، (عصفر) .
٣ تاج العروس (٢/٤٥١) ، (الفرصد) .
٤ تاج العروس (١٠/٢٨٥) ، (الفوة) .

و (الاحريض) العصفر ، يقال حرض ثوبه إذا صبغه بالاحريض[1] .

و (النكع) اللون الأحمر ، وزهرة حمراء يصبغ بها . و (النكعة) ثمر النقاوى ، وهو نبت أحمر ، ومنه الحديث : كانت عيناه أشد حمرة من النكعة . وهي صمغة القتاد (القناد)[2] . و (الصِرف) صبغ أحمر تصبغ به شرك النعال[3] . و (اللك) نبات يصبغ به ، وهو صبغ أحمر يصبغ به جلود البقر والمعز وغيرها ، و (اللكاء) الجلود المصبوغة باللك[4] .

وأكثر أصباغهم ، هي أصباغ أخذت من النبات . وهو شيء طبيعي لسهولة استحصال الأصباغ من النبات ، ولتوفره لديهم في الحضر وفي البرّ . أما الأصباغ المستخرجة من المعادن ، فهي أقل بكثير من الأصباغ المستخرجة من النبات ، لما يحتاج استخراج الأصباغ منها الى مهارة وحذق وتقدم في الصناعة والعلم .

العصير :

والعصير ، هو ما يحلب من الشيء اذا عصرته ، وهو العصارة . ويعصر كل ماله دهن أو شراب أو عسل ، وأمثاله . و (المعصرة) موضع العصر ، والمعصر ، ما يعصر فيه العنب ، والمعصار الذي يجعل فيه الشي فيعصر حتى يتحلب ماؤه . والعواصر ، ثلاثة أحجار يعصر بها العنب ، يجعلون بعضها فوق بعض[5] .

وتعصر الأشياء للشرب ، كالخمور والأشربة ، أو للتداوي ، لاستعمال العصير دواءً يتداوى به ، أو لاستخراج الدهن من المعصور . وقد استعمل المزارعون المعاصرَ لعصر الأعناب أو لاستخراج الزيوت من البذور وتسمى (المعصرة) (موهت) في المسند ، من أصل (وهت)[6] . ومن معاني هذه اللفظة الضغط وشدة الدوس ، وهي تستعمل في الحقول كما تستعمل في البيوت وفي محلات الاتجار بالزيوت .

---

١ تاج العروس (٥/١٩) ، (حرض) .
٢ تاج العروس (٥/٥٣١) ، (نكع) .
٣ تاج العروس (٦/١٦٤) ، (صرف) .
٤ تاج العروس (٧/١٧٤) ، (لك) .
٥ تاج العروس (٣/٤٠٥) ، (عصر) .
٦ REP. EPIGR. 2876, V. p. 209.

و (القطران) ، عصارة الأبهل والارز ، وهو ثمر الصنوبر . يطبخ فيتحلب منه ، ثم يهنأ به الإبل[1] . ويتخذ القطران من الإثرار ، وهو شجر يقتدح سريعاً اذا كان يابساً[2] . كما يتخذ من العرعر[3] .

والزفت ، كالقير ، وقيل هو القار ، والزفت المطلى به ، وهو غير القير الذي يقير به السفن ، انما هو شيء أسود أيضاً يمتن به الزقاق الحمر . وقد نهي في الحديث عن المزيت والمقير . والزفت أيضاً دواء . وهو شيء يخرج من الأرض يقع في الأدوية[4] . وذكر أهل الأخبار ، انهم كانوا يستخرجون (الزفت) من أعجاز شجر (الأرز) وعروقه ، وانهم كانوا يستصبحون بخشب الأرز . وقد أشير اليه في الحديث[5] . وقد استخرجوا الزفت من شجر (التنوب) وغيره من ضروب الصنوبر ، وهو قريب من دهن القطران[6] .

الزيوت والدهون :

ويستعمل الحضر الزيت في أكلهم وفي تزييت شعرهم ، وفي أمور أخرى . وهم يحصلون عليه من النبات بعصر لب الثمر المتشبع بالزيت . واليمن هي على رأس الأمصار العربية في انتاج الزيت . زيت الزيتون وغيره ، وقد كانت تصدره الى الحجاز والى مواضع أخرى من جزيرة العرب . والزيت في اللغة دهن ، وهو عصارة الزيتون[7] . ويعد التزييت ، أي التدهن بالزيت الجيد المطيب من علائم النعيم والرفاه .

و (السليط) ، الزيت عند عامة العرب وعند أهل اليمن دهن السمسم ، وقد ذهب بعضهم الى العكس . وقيل هو كل دهن عصر من حبّ . وذكر أن دهن

---

١ تاج العروس (٣/٤٩٩ وما بعدها) ، (قطر) ، نهاية الارب (١١/٣٢٣) .
٢ عرام ، أسماء جبال تهامة (٤٠٨) .
٣ عرام (٤٠٣) .
٤ تاج العروس (١/٥٤٦) ، (زفت) .
٥ تاج العروس (٤/٣) ، (ارز) .
٦ نهاية الارب (١١/٣٢٤) .
٧ تاج العروس (١/٥٤٦) ، (زيت) .

السمسم هو السيرج والحل[1] . و (السيرج) ، هو (الشّيْرج)[2] ، دهن السمسم[3] ، و (الحَل) ، هو الشيرج ، أي دهن السمسم[4] .

ومن الدهون ، دهن يستخرجه أهل اليمن من (الكاذى) . والكاذى شجر شبه النخل في أقصى بلاد اليمن ، وطلعه هو الذي يصنع منه الدهن . وذكر أنهم كانوا يقلعون طلع (الكاذى) قبل أن ينشق ، فيلقى في الدهن ويترك حتى يأخذ الدهن ريحه ويطيب[5] . ودهن الغار ، دهن يستخرج من شجر الغار ، وهو شجر الغار ، وهو شجر له حمل أصغر من البندق أسود يقشر ، له لبّ يستخرج منه الدهن ، وورقه طيب الريح يقع في العطر ، ويستعمل ثمره في الأدوية . ويستصبح بدهن الغار[6] .

واستخرج أهل (الشوع) دهناً منه ، كما يستخرج أهل السمسم دهناً منه . وذكر ان (الشوع) شجر البان ، الواحدة (شوعة) . وهو يربع ويكثر على الجدب وقلة الأمطار ، وهو مطلوب مرغوب ، فكان الناس يسلفون في ثمره الأموال[7] . و (البان) ، شجر يستخرج من حبّ ثمره دهن طيب يستعمل في التدهين وفي معالجة أمراض عديدة . وقد ذكر في شعر (امرىء القيس)[8] .

وزيت مقتت ، اذا أغلي بالنار ومعه أفواه الطيب ، ودهن مقتت مطيب طبخ فيه الرياحين ، أو خلط بأدهان طيبة . والتقتيت جمع الأفاويه كلها في القدر وطبخها[9] .

واستخرج من موم العسل شمع ، وهو ما يستصبح به . ويذكر علماء اللغة أن (الموم) لفظة مولدة جاءت من الفارسية ، وأن لفظة (الشمع) لفظة مولدة كذلك[10] . ونظراً لوجود العسل بكثرة في اليمن وفي (السراة) وفي مواضع أخرى

---

١ تاج العروس (٥/١٥٨) ، (ملط) .
٢ كصيقل وزينب .
٣ تاج العروس (٢/٦٤) ، (شرج) .
٤ تاج العروس (٧/٢٨٦) ، (حلل) .
٥ تاج العروس (١٠/٣١٢) ، (كذا) .
٦ تاج العروس (٣/٤٥٧) ، (غار) .
٧ تاج العروس (٥/٤٠٤) ، (شوع) .
٨ تاج العروس (٩/١٤٧) ، (البون) .
٩ تاج العروس (١/٥٧١) ، (قت) .
١٠ تاج العروس (٥/٤٠٢) ،(شمع) .

من جزيرة العرب في الجاهلية ، فلا استبعد استخدام أهل الجاهليين شمع العسل لصنع الشموع للاستصباح ولأغراض أخرى .

والحرض ، الأشنان تغسل به الأيدي على أثر الطعام . وشجرته ضخمة وربما استظل بها ، ولها حطب وهو الذي يغسل به الناس الثياب . وقد مدح الأشنان النابت بجو الخضارم باليمامة . والحرّاض من يحرقه للقلي ، أي الذي يوقد على الحرض ليتخذ منه (القلى) للصبّاغين . يحرق الحمض رطباً ثم يرش الماء على رماده فينعقد فيصير قليّاً . قال عدي بن زيد العبادي :

مثل نار الحراض يجلو ذرى المز ن لمن شامه إذا يستطير[1]

و (القصيص) نبت ينبت في أصول الكمأة ، يجعل غسلاً للرأس . وقد ذكر في شعر عدد من الشعراء ، منهم امرؤ القيس ، والأعشى وعدي بن زيد العبادي[2].

الصمغ :

الصمغ في تعريف علماء العربية : غراء القرظ ، وهو الصمغ العربي ، ولكل شجر صمغ ، وهو نضحه فيسيل منه[3] . وكانوا يشرطون الشجر ليخرج منه غراءه ، أو كانوا يعصرون بعض النبات ، فيخرج منه عصير ، يستخرجون منه صمغاً . ومن الأشجار التي استخرجوا منها الصمغ (الصاب) ، يشرط فيخرج منه غراء ، وهو شيء مرّ ، ينعقد كالصبر[4] . واستخرجوا صمغاً من (القرظ) ، وهو شجر معروف في بلاد العرب ، استخرجوه من عصارته ، استفادوا منه في الطب ، دعاه الأطباء الاسلاميون : (أقاقيا)[5] . و (الصرب) ، صمغ أحمر يستخرج من الطلح ، وقيل هو صمغ الطلح والعرفط ، وهي حمر كأنها سبائك تكسر بالحجارة[6] .

---

١ تاج العروس (٥/١٩) ، (حرض) .
٢ تاج العروس (٤/٤٢٣) ، (قصص) .
٣ تاج العروس (٦/٢٢) ، (صمغ) .
٤ تاج العروس (١/٣٤٠) ، (صوب) ، (٦/٢٢ ، (صمغ) .
٥ تاج العروس (٥/٢٥٨) ، (قرظ) .
٦ تاج العروس (١/٣٣٤) ، (صرب) .

والعرب تسمي صمغ العرفط عسلاً لحلاوته ، وعسل اللبنى طيب ، وهو صمغ ينضح من شجرة يشبه العسل لا حلاوة لـــه ، ويتبخر به . وعسل الرمث شيء أبيض يخرج منه كالجمان[1] .

و (الأيدع) ، صمغ أحمر يؤتى به من (سقطرى) ويتداوى به . داووا به الجراح . وذكر ان الأيدع صبغ أحمـــر ، وهو خشب البقـم . وقيـل هو دم الأخوين . وقيل الأيدع شجر له حبّ أحمر يصبغ به أهل البدو ثيابهم . وان البقم يحمل في السفن من بلاد الهند . وقد اشتهرت جزيرة سقطرى بأحسن أنواع الأيدع والصبر ، حتى قيل : صبر سقطرى[2] . وذكر ان (دم الأخوين) هو (القاطر المكي) ، وهو عصارة حمراء[3] .

وقد عرفت جزيرة العرب بتصديرها بعض أنواع الصمغ واللثى ، وهو شيء يسقط من شجر السمر ، أو هو ماء يسيل من الشجر كالصمغ ، فإذا جمد ، فهو صعرور . وقيل شيء يسيل من الثمام وغيره ، وللعرفط لثى حلو يقـــال له المغافير[4] . والمغافير ، هو صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط ، وقد يكون المغفور للعشر والسلم والثمام والطلح وغير ذلك . وورد ان المغافير : صمغ الرمث والعرفط ، وذكر أن المغافير عسل حلو مثل الرب إلا انه أبيض[5] .

و (العلك) ، المضغ ، وصمغ الصنوبر والارزة والفستق والسر والينبوت والبطم ، وهو أجودها . يمضغ في الفم ، للتسلية ولمنع العطش بظهور اللعـــاب في الفم ، ولأغراض طبية[6] . وقد اشتهر علك الضرو ، المستخرج من شجر الضرو ، الذي ينبت باليمن . ويعالج به في الطب[7] .

و (الكندر) اللبان ، وهو ضرب من العلك ، يستخدم في الطب[8] . واللبان شجيرة شوكة لا تسمو أكثر من ذراعين ولها ورقة مثل ورقة الآس ، وثمره مثل

---

١ تاج العروس (١٧/٨) ، (عسل) .
٢ تاج العروس (٥٦٤/٥) ، (أيدع) .
٣ تاج العروس (٥٠١/٣) ، (قطر) .
٤ تاج العروس (٣٢٣/١٠) ، (لثى) .
٥ تاج العروس (٤٥٣/٣) ، (غفر) .
٦ تاج العروس (١٦٤/٧) ، (علك) .
٧ تاج العروس (٢١٩/١٠) ، (ضرى) .
٨ تاج العروس (٥٢٩/٣) ، (الكندر) .

ثمرته ، وله حرارة في الفم . وهي من الصمغ . وذكر أن اللبان شجر الصنوبر[1]. وذكر أن لحب ثمر البان دهن طيب ، وحبّه نافع لمعالجة جملة أمراض جلديـة وأمراض داخلية[2] . وذكر أن (الشوع) ، شجر البان ، أو ثمره . قيل إنـه يريع ويكثر على الجدب وقلة الأمطار ، والناس يسلفون في ثمره الأموال . وأهل الشوع يستعملون دهنه ، كما يستعمل أهل السمسم دهن السمسم . وهو جبلي ، وقيل ينبت في السهل والجبل[3] .

وورد أن الكندر لا يكون إلاّ بالشحر من اليمن ، ومنابت شجره الجبال ، وقد استعمل دواءً لمعالجة أمراض عديدة[4] .

والصبر ، أنواع فيه العربي والأسقطري ، وأجوده (الأسقطري) . وهـو عصارة شجر ، تترك حتى تثخن ، ويشمس حتى يجف . وفي اليمن نوع منه أحمر ملمع بصفرة[5] .

و (الضجاج) مثل شجر (اللبان) يكون في أرض عمان . وهو صمغ أبيض تغسل به الثياب ، فينقيها مثل الصابون[6] . وذكر أنه ثمر نبت أو صمغ تغسل به النساء رؤوسهن[7] .

والمقل ، يستخرج من شجر يشبه الكندر ، طيب الرائحة ، وأكثر نباته فيما بين الشحر وعمان ، وذكر أن المقل المكي ، هو صمغ الدوم ، لأن الدوم هناك يدرك ويصمغ[8] .

و (الدبس) عسل التمر وعصارته ، وهو ما يسيل من الرطب . ويقـال له : (الصقر) في لغة أهل يثرب . وذكر انه ما سال من جلال التمر . وأطلق أيضاً على تحلب من الزبيب والعنب[9] . و (الصقر) عند أهل البحرين ما سال

---

١ تاج العروس (٩/٣٢٩) ، (لبن) .
٢ تاج العروس (٩/١٤٧) ، (البون) .
٣ تاج العروس (٥/٤٠٤) ، (شوع) .
٤ نهاية الارب (١١/٢٩٩ وما بعدها) .
٥ نهاية الارب (١١/٣٠٤ وما بعدها) .
٦ نهاية الارب (١١/٣٠٩) .
٧ تاج العروس (٢/٦٨) .
٨ نهاية الارب (١١/٣٢١ وما بعدها) .
٩ تاج العروس (٤/١٤٥) ، (دبس) .

من جلال التمر التي كنزت وسدك بعضها على بعض في بيت مضرج تحتها خواب خضر ، فينعصر منها دبس خام كأنه العسل[1] .

والصبيب عصارة ورق الحناء والعصفر ، وقيل هو العصفر[2] .

الدباغة :

والدباغة حرفة الدبّاغ ، دبغ الإهاب بما يدبغ به[3] . والإهاب الجلد من البقر والغنم والوحش ، أو هو ما لم يدبغ[4] . وقد استخدم الدباغون في ذلك مواد مختلفة ، بعضها بدائية ، وعالجوا الجلد قبل دبغه لترقيقه وتنظيفه وصقله . وقد اشتهرت في ذلك جملة مواضع ، منها : مدينة (جرش) ، وهي من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقد نسب اليها الأدم المعروف بـ (أدم جرش) ، و (أدم جرشي) ، وهي مدينة تسقى بالآبار ، يستخرج منها الماء بالدلاء ، على الإبل، وقد فتحت في حياة النبي في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفيء ، وأن يتقاسموا العُشر ونصف العشر[5] . وقد اشتهرت بإبلها كذلك ، التي نسبت اليها[6] . ومنها (صعدة) ، في مخلاف خولان ، وكانت تسمى في الجاهلية (جماع) ، وكان بها قصر قديم ضخم . ذكر (الهمداني) انها كورة بلاد خولان وموضع الدباغ في الجاهلية ، وذلك انها في موسط بلاد القرظ . وقد اشتهرت أيضاً بالنصال[7] . ونعتها بأنها « بلد الدباغ في الجاهلية الجهلاء ، وهي في موسط بلد القرظ ، ربما وقع فيها القرظ من ألف رطل الى خمسمائة بدينار مطوق على وزن الدرهم القفلة»[8].

والأدم من السلع المهمة المشهورة في تجارة أهل الجاهلية . والأديم ، الجلد الذي قد تمّ دباغه . وقيل الجلد ما كان أو أحمره أو مدبوغه ، وقيل هو بعد

---

١ تاج العروس (٣/٣٣٩) ، (صقر) .
٢ تاج العروس (١/٣٣١) ، (صبب) .
٣ تاج العروس (٦/٨) ، (دبغ) .
٤ تاج العروس ١(/١٥١) ، (أهب) .
٥ البلدان (٣/٨٥) .
٦ تاج العروس (٤/٢٨٧) ، (جرش) .
٧ الصفة (٦٦ وما بعدها) .
٨ الصفة (١١٤) .

الافيق ، وذلك إذا تمّ واحمر[1] . ويدخل في الحرف التي تقوم على تحويل الجلد الى سلع ، مثل الأحذية ، وصنع القباب . التي تضرب للملوك وللسادة وللأشراف امارة على الرئاسة والسيادة . وتصبغ جلودها بلون أحمر في الغالب . وكانت غالية ، لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجـــاه والمال . فكان سادة مكة إذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من أدم[2] ، وكان حكام عكـــاظ والسادات الذين يحضرون السوق ، يضربون لهم قباباً ، وأما سائر الناس ، فيضربون لهم بيوت الشعر . وبيوت الشعر أرخص ثمناً من قباب الأدم .

وقد اتخذ العرب بيوتاً من جلد عرفت بـ (القشاعة) و (القشوع) ، وذكر بعضهم أن (القشاعة) بيت من أدم . وربما اتخذوا من جلود الإبل صواناً للمتاع[3]. وذكر أن البيت من أدم ، هو (الطراف) . وهو بيت من بيوت الأعراب ليس له كفاء ، قال طرفة بن العبد :

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد[4]

وقد اشتهرت اليمن بدباغة الجلود وبالاستفادة من هـــذه الجلود في أغراض مختلفة ، وبتصدير الجلود الى أماكن أخرى من جزيرة العرب . ولا تزال اليمن تصنع الجلود على الطريقة القديمة ، وتصدرها الى الخارج . وقد ذكر (ابن المجاور) ان الأديم يدبغ في جميع اقليم اليمن والحجاز ، وانهم يبيعونه طاقات بالعدد ، وقد اشتهرت مكة بدبغ الجلود كذلك ، جلود الجمال والبقر والغزلان[5] . واشتهرت الطائف في دباغة الجلود كذلك ، وذُكر ان مدابغها كانت كثيرة ، وأن مياهها كانت تنساب الى الوادي فتنبعث منها روائح كريهة مؤذيـــة[6] . وكانوا يدبغون

---

١ تاج العروس (٨/١٨١) ، (أدم) ، المفضليات ، للضبي (٥٦) ، (أحمد محمد شاكر)، (دار المعارف ١٩٦٤م) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/١ ، ص ٤١) .

٣ تاج العروس (٥/٤٦٧) وما بعدها) ، (قشع) .

٤ تاج العروس (٦/١٧٩) ، (طرف) .

٥ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجـــاز ، المسماة تاريخ المستبصر ، القسم الاول (ص ١٣) .

٦ البلدان (٦/١٠ وما بعدها) .

بصورة خاصة الأدم الثقيل المليح[1] . وذكر (الهمداني) ، انها « بلد الدبّاغ ، يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة »[2] .

وقد ذكر علماء اللغة أسماء مواد كثيرة استعملت في دباغة الجلود ، وذكروا أيضاً طرقاً متعددة في كيفية الدبغ وفي أسماء الجلود المدبوغة والمواد التي تصنع من مختلف الجلود[3] . والواقع ان اعتماد العرب الجاهليين على الجلود كان كبيراً ، لأنها كانت متيسرة لديهم ، وهي أسهل في العمل من الخشب أو الحديد أو الأشياء الأخرى بالنسبة الى عمال جزيرة العرب في ذلك العهد .

و (القرظ) من أهم ما استعمل في دباغة الأدم ، يجلب فيطحن بحجر الطواحين ، ثم يستعمل في الدباغة . ومن (العقيق) يجلب القرظ الى مكة لاستعماله في الدباغة[4] . وقد أشار بعض الأخباريين الى ضخامة حجر الطواحين التي يطحن بها القرظ[5] . واستعمل (الغرف) في الدباغة كذلك . وعرفت الجلود التي تدبغ به بالجلود الغرفية ، ومنها جلود يمانيـــة وجلود بحرانية . وسقاء غرفي دبغ بالغرف . وكذلك مزادة غرفية[6] .

ومن المواد التي استعين بها في دباغة الجلد : (الدهناء) . وهي عشبـة حمراء لها ورق عراض يدبغ به[7] ، و (القرضم) قشر الرمان ، ويدبغ به[8] . و (الشث) نبت طيب الريح مر الطعم يدبغ به ، قيل ينبت في جبال الغور وتهامة ونجـد . وذكر بعضهم (الشب) في جملة ما كان يدبغ به[9] . و (الأرطى) شجر دبـغ به ، وعرف الجلد الذي يدبـغ به بـ (المأروط) وبـ (الأرطى) ، وبـ (أديم مرطى)[10] .

---

١ ابن المجاور (١/٢٥) .
٢ الصفة (١٢٠) .
٣ المخصص (٤/١٠٠ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٥/٢٥٨) ، (قرظ) ، ابن المجاور (١/٣٢) .
٥ ابن المجاور (١٠/٢٠) .
٦ تاج العروس (٦/٢٠٩) ، (غرف) .
٧ تاج العروس (٩/٢٠٥) ، (دهن) .
٨ تاج العروس (٩/٢٤) ، (قرضم) .
٩ تاج العروس (١/٦٢٧) ، (شث) .
١٠ تاج العروس (٥/١٠١) ، (ارط) .

وعرف الجلد الذي يدبغ بغير (القرظ) بـ (الجلد الحوري)[1] . و (الأفيق) الجلد الذي لم يتم دباغه ، أو الأديم دبغ قبل أن يخرز أو قبل أن يشق . وقيل هو ما دبغ بغير القرظ والأرطى وغيرهما من أدبغة أهل نجد ، وقيل هو حين يخرج من الدباغ مفروغاً منه ، وقيل رائحته ، وقيل ما يكون من الجلد في الدباغ[2] .

الخمور :

وقد اتخذوا من التمور والكروم والشعير والذرة خموراً ، وذكر ان الخمر ما أسكر من عصير العنب خاصة . وتستعمل لفظة (الشراب) في معنى الخمر كذلك . وفي الحديث حرمت الخمر وما شرابهم يومئذ إلا الفضيخ البسر والتمر ، ونزل تحريم الخمر التي كانت موجودة من هذه الأشياء لا في خمر العنب خاصة[3]. وأما النبيذ ، فهو ما نبذ من عصير ونحوه ، كتمر وزبيب وحنطة وشعير وعسل، يقال نبذت التمر والعنب ، اذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً ، وقد ينبذ في وعاء عليه الماء ويترك حتى يفور فيصير مسكراً . وسواء أكان مسكراً أو غير مسكر ، فإنه يقال له : نبيذ ، ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ ، كما يقال للنبيذ خمر[4] .

ويظهر من كتب الحديث ، ان أكثر خمور أهل المدينة هي خليط من البسر والتمر[5] . وأن منهم من كان يخلط الزبيب والتمر ، أو الرطب والبسر . وكانوا ينتبذونها في الدباء ، والمزفت ، والحنتم ، والنقير ، والمقير[6] .

وذكر أن الخليفة (عمر) حدد المواد التي تعمل منها الخمور بخمسة أشياء : الحنطة ، والشعير ، والتمر ، والزبيب ، والعسل . وجعل الخمر ما خامر العقل[7].

---

١ تاج العروس (٣/١٦١) ، (حور) .
٢ تاج العروس (٦/٢٨٠) ، (أفق) .
٣ تاج العروس (٣/١٧٦ وما بعدها) ، (خمر) .
٤ تاج العروس (٢/٥٨٠) ، (نبذ) .
٥ صحيح مسلم (٦/٨٨) .
٦ صحيح مسلم (٦/٩٢ وما بعدها) .
٧ صحيح مسلم (٨/٢٤٥) ، (باب في تحريم نزول الخمر) .

وقد ذكر هذه الأشياء لأنها كانت هي الشائعة المعروفة عند أهل مكة ويثرب في ذلك العهد على ما يظهر ، لأن هناك خموراً عملت من غير هذه الأشياء .

وكان لأهل اليمن شراب عرف عندهم بـ (البتع) ، وهو من العسل ينبذ حتى يشتد ، وذكر أنهم كانوا يطبخون العسل حتى يعقد ، فيكون البتع . وشراب عرف بـ (المزر) ، وهو من الذرة[1] . وخطب (أبو موسى الأشعري) ، فقال : « خمر المدينة من البسر والتمر ، وخمر أهل فارس من العنب ، وخمر أهل اليمن البتع ، وهو من العسل ، وخمر الحبش السكركة »[2] . وقد ذكر (ابن عمر) الأنبذة ، فقال : « البتع نبيذ العسل : والجعة نبيذ الشعير ، والمزر من الذرة ، والسكر من التمر ، والخمر من العنب »[3] . وذكر أن المزر نبيذ الذرة والشعير والحنطة والحبوب ، وقيل نبيذ الذرة خاصة[4] . ويظهر أن اطلاق المزر على أنبذة الحبوب ، هو من باب التجوز والتعميم ، وأن الأصل هو نبيذ الذرة .

و (الضريّ) ، الماء من البسر الأحمر والأصفر يصبونه على النبق فيتخذون منه نبيذاً[5] .

وقد اشتهرت (دُرْنى) بخمورها المصنوعة من الكروم ، وقد ذكرها (الأعشى) في شعره . وكان الأعشى ، يزورها ، وذكر انها هي (أثافت) التي ذكرها (الأعشى) أيضاً في شعره ، فقال :

أحب أثافتَ وقت القطاف ووقت عصارة أعنابها

وكان كثيراً ما يزورها ، وله بها معصر للخمر يعصر فيه ما أجزل له أهل أثافت من أعنابهم[6] . وورد انها من قرى اليمامة ، كما ذكرت ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

---

١ صحيح مسلم (٦/٩٩ وما بعدها) ، (باب بيان ان كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام) .
٢ تاج العروس (٥/٢٦٩) ، (بتح) .
٣ تاج العروس (٣/٥٤١) ، (مرز) .
٤ المصدر نفسه .
٥ تاج العروس (١٠/٢٢٠) ، (ضرى) .
٦ الصفة (٦٦) .

وأنا لا أستبعد استخدام الجاهليين للماء في ادارة المطاحن ، وقد ذكر (الهمداني) أن أهل اليمن بأودية : سربة ، وشُراد ، وبنا ، وماوة ، والموفد ، وجمع ، ويصيد ، وأودية رعين ، ووادي ضهر ، كانوا يديرون مطاحنهم بالماء[1] . ولم يشر (الهمداني) الى تأريخ استعمال هذه المطاحن التي تدار بالماء ، ولكني لا أستبعد أخذهم هذه الصناعة من الجاهليين ، وقد أشير الى الطحن والمطاحن والطحين في نصوص المسند . ورد في بعضها ان الحكومات كانت تتقاضى الإتاوة من الناس إما نقداً ، وإما (ورقاً) ، أي ذهباً سبائك ، وإما (طحناً) أي طحيناً ، وهو الدقيق . ويقال له (طحنم) و (طحن) في المسند ، وإما (دعثم) ، أي بضاعة ، بمعنى مواد عينية . فذكر (الطحين) في هذه النصوص ، يشير الى وجود المطاحن بكثرة في اليمن ، وربما كانت تصدر الفائض منه الى الخارج .

---

١ Handbuch, I, S. 137.